صحيفة المرابطة المسلمة

العدد : ١٩٢ الموافق في ربيع أول ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/٨ ميلادي

عنوان المقال : سلاماً... سلاماً (٢ – ٣)	بقلم : يمان السباعي

إن من الأخلاق لعجباً... التزامها يزرع السلام والأمن والراحة والطمأنينة في النفوس ، وتركها يؤجج الحقد ، والكراهية ، والبغضاء ، ويجعل حياة الناس على هذه الأرض جحيماً قبل الجحيم ، ونارا تتأجج في الصدور قبل ورود جهنم الآخرة ، أعاذنا الله من حرها ولفحها.

ويقف خُلُق الحلم بالذات ، شامخاً... وعزيزاً في أيامنا هذه ، لندرة من يتحلى به بين الناس ، وندرة من يثبت عليه من هؤلاء... وندرة من يفهمه عن أهله ، ويقدرهم حق قدرهم.

وطالما أساء الناس فهم هذا الخلق في إطار الأخوة في الله ، وطالما تمادوا في إيذاء إخوانهم ممن يتحلون بهذه الصفة ، ظناً منهم أن الحلم ، والصبر على الأذى يمكن أن يدوم أبد الدهر... وهذه مغالطة لا تليق بذي عقل ، ولا تتوافق مع الطبيعة الإنسانية ، وإن قطع المرء مسالك الفتنة عن طريق سمو أخلاقه ، فإنه لن يستطيع أن يحفظ قلبه عن الألم والحزن بسبب أذى إخوانه ، خاصة إذا تجاوزوا الحد ، وبالغوا في الأذى ، وأساؤوا فهم حلم صاحبهم ، فتكررت الإساءة ، وتكرر الأذى.

ولئن حمل الإنسان نفسه على التسامح والتجاوز مرة أثر مرة ، فلا بد أن يأتي الوقت الذي يحاول فيه أن يقطع دابر هذه التصرفات التي تؤذيه في حياته ، وفي علاقاته ، وفي سلامة فؤاده مع الآخرين. وإنه من غير المنطقي ، وفوق طاقة الإنسان ، ما لم يكن نبياً أو صِدّيقاً ، أو شيئاً آخر لا نريد أن نستفيض في ذكره في هذا المقام ، أن يحتمل الإساءة على الإساءة ، وأن يسوء الناسُ وجهه ، ثم لا يتغير قلبه ، ولا يشعر بجراح عميقة في نفسه !!.

ويبدو أن صبر الرجال في هذا المجال ، أقل من صبر النساء ، لكنه أكثر انضباطاً ، وأقرب إلى التقوى ، لأن عاطفة المرأة ، وكراهيتها الفطرية للعنف والخصام تجعلها تحتمل الأذى ، وتؤثر السكوت - بشكل عام - والسكوت والأذى يختلفان بشكل جذري عن الصبر والحلم.

ومن النساء من تعجز عن حل مشكلاتها ، فتلجأ إلى الرجل من زوج أو أب ، ليتصدى نيابة عنها إلى ما آذاها... فيتورط بسبب ذلك في مشكلات توسع دائرة التقاطع والتدابر بين أفراد المجمع.

ولعل الواجب الإيماني يقتضي أن يصبر المرء ويحلم دون أن يجد في قلبه شيئاً ، ويترك الأمور للأيام... وإما أن يتحلى بشجاعة أدبية ، ولياقة فكرية تساعده على مواجهة الأذى في حينه واجتثاثه من أصوله ، فالسكوت والتحمل دون عمق أخلاقي ديني ليس إلا ضعفاً وتخاذلاً وسقوطاً من حيث ندري أو

لا ندري في متاهات الغيبة والنميمة ، وهما تورثان الفؤاد موتاً ، والإيمان في الصدور ذبولاً.

ثم إن الإساءة لا يمكن أن تترك دون ردع أو عقاب... ودون أن تنزل منزلتها في قواعد السلوك ، لأن ترك المسيء قائماً على إساءته ، يشجعه على المزيد من الأذى لنفسه وللآخرين ، بدعوى الحلم والصبر ، ولأن الجزاء والردع ، قاعدتان تربويتان ثابتتان في أصول نظريات التربية الإسلامية.

والمسيء الذي لا يفهم تسامح الآخرين ، فيتمادى في إساءته ، لا ينبغي تركه هكذا دون ردع مناسب ، قد يكون بالكلام ، وقد يكون بالإشارة ، وقد يكون بالسلوك القرآني الرفيع ، المشار إليه في الآية الكريمة { **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** } والذي يعني اتخاذ وسيلة للترفع عن الأذى ، دون مقاطعة هذا الإنسان بصورة نهائية ، ودون توجيه كلمة تؤذيه... ودون التورط في قيل وقال... وهذه شروط رئيسية للانخلاع من صفة النفاق في الفجور حالة الخصام ، والتلفظ بالقبيح من القول ، والإساءة لوجوه الآخرين.

وماذا بعد ذلك من سلام... سلام للنفس ، وسلام في المجتمع. إن للسلام الاجتماعي قواعد ثابتة لا ينبغي أن نفهمها في إطار رد الفعل فقط ، لأننا إلى فهمها في إطار الفعل أحوج.

وكفّ النفس عن شهوة الأذى ، والتحقير ، والتدمير... يماثل بذل النفس كرماً وحلماً وصبراً على الأذى ، في سبيل الله قبل كل شيء ، ثم بهدف الحفاظ على تماسك المجتمعات ، وزرع الحب في الله ، والسلام النفسي ، والاجتماعي ، كضرورتين أساسيتين ، تنقلب حياة الإنسان من غيرهما جحيماً